آيات الكراهة والسخط المحبطة للعمل في ضوء القرآن الكريم سورة محمد ﷺ أنموذجا _دراسة موضوعية_

Verses of hatred and discontent that frustrate work in the light of the Holy Qur'an, Surah Muhammad, may God bless him and grant him peace, as a model - an objective study_

م.م. محمد سعد عزيز الحساوي*

Assistant Lecturer: Mohammed Saad Azeez AL hasawy

Mohammad.saad@uomosul.edu.iq

ملخص البحث باللغة العربية :

إنَّ لعلم التفسير خصوصية التجديد حسبما تقتضي الظروف والأحوال, وتطلعات مسلمي كل زمان, ومن هذا التجديد ظهور ضوء التفسير الموضوعي الذي يُعدُّ فناً ومنهجاً جديداً يلتقي فيه الماضي والحاضر لبلوغ مستقبل خيرٍ للأمة الإسلامية.

لذا أعددت هذا البحث الموسوم (آيات الكراهة والسخط المحبطة للعمل في ضوء القرآن الكريم سورة محمد ﷺ أنموذجا _دراسة موضوعية_), وقد اشتمل على أربعة مطالب وخاتمة, وهو كما يأتي:

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أسباب الكراهة والسخط المحبطة للعمل.

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي لآيات الكراهة والسخط.

المطلب الرابع: الآثار الدنيوية والأخروية لهما.

وضمت الخاتمة أهم النتائج.

* وزارة التعليم العالي والبحث العملي/جامعة الموصل/كلية التربية للعلوم الانسانية

الكلمات المفتاحية

١_ آيات الكراهة و السخط

Verses of hatred and discontent

٢_ المحبطة للعمل Frustrating to work

٣- سورة محمد Surah Muhammad

٤_ دراسة موضوعية Objective study

٥_ إحباط frustration

Summary of the study in English:

The science of interpretation has the specificity of renewal according to the requirements of circumstances and conditions, and the aspirations of Muslims of every age, and from this renewal the light of objective interpretation appears, which is considered a new art and method in which the past and present meet to achieve a better future for the Islamic nation.

Therefore, I prepared this research entitled (Verses of hatred and discontent that frustrate work in the light of the Holy Quran, Surah Muhammad ﷺ as a model - an objective study_), and it included four demands and a conclusion, as follows:

The first demand: Definition of the vocabulary of the title in language and terminology.

The second demand: The reasons for hatred and discontent that frustrate work.

The third demand: The objective interpretation of the verses of hatred and discontent.

The fourth demand: Their worldly and otherworldly effects.

The conclusion included the most important result

المـــقـــدمـــة:

الحمد لله الذي جعل كتابه نورا مبينا, يهدي به من ارتضاه صراطا مستقيما, ويورثهم جنات ونعيما, والصلاة والسلام على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي بعث هاديا وبشيرا, وعلى آله وصحابته وأحبابه جميعاً, اما بعد:

فإنَّ لعلم التفسير خصوصية التجديد حسبما تقتضي الظروف والأحوال, وتطلعات مسلمي كل زمان, ومن هذا التجديد ظهور ضوء التفسير الموضوعي الذي يُعدُّ فناً ومنهجاً جديداً يلتقي فيه الماضي والحاضر لبلوغ مستقبل خيرٍ للأمة الإسلامية.

وحرصا مني للمساهمة في خدمة كلام الله أعددت هذا البحث الموسوم (آيات الكراهة والسخط المحبطة للعمل في ضوء القرآن الكريم سورة محمد ﷺ أنموذجا _دراسة موضوعية_), وقد اشتمل على أربعة مطالب وخاتمة, وهو كما يأتي:

المطلب الاول: التعريف بمفردات العنوان في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: أسباب الكراهة والسخط المحبطة للعمل.
المطلب الثالث: التفسير الموضوعي لآيات الكراهة والسخط.
المطلب الرابع: الآثار الدنيوية والأخروية لهما.
وضمت الخاتمة اهم النتائج.

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان في اللغة والاصطلاح.

الكراهة في اللغة: من كره, الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْهَاءُ أصل صحيح واحدٌ، يدلّ على خلاف الرّضا و المحبّة, يقال: كرِهتُ الشّيء أكرهه كَرها وكراهة وكراهية, والكَره_بالفتح_ الإباء والمشقّة تُكلّفها فتحتملها، والكُره_ بالضّم_ المشقة تحتملها من غير أن تُكلّفها, ومن معاني الكره ما يقال للجمل شديد الرأس, والكريهة: الشدة في الحرب, وذو الكريهة: السيف الماضي في الضريبة[1].

(1) ينظر: مقاييس اللغة, لابن فارس: ١٧٢/٥, ولسان العرب, لابن منظور:٥٣٤/١٣, والمصباح المنير, للفيومي: ٥٣٢/٢.

وجاء في المفردات: الكَرهُ: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بِإِكْرَاهٍ، والكُره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطّبع.

والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشّرع، ولهذا يصحّ أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأَكْرَهُهُ، بمعنى أنّي أريده من حيث الطّبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشّرع، أو أريده من حيث العقل أو الشّرع، وأَكْرَهُهُ من حيث الطّبع، وقوله تعالى﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦] أي: تكرهونه من حيث الطّبع، ثم بيّن ذلك بقوله﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦], فإنه لا يجب للإنسان أن يعتبر كراهِيته للشيء أو محبّته له حتى يعلم حاله(١).

وفي الاصطلاح: عرفت الكراهة بما يأتي:

١ـ الكراهة هي: ((نفرة تتبع اعتقَاد الضّر أَو ظنّه)) (٢).

٢ـ الكراهة هي: ((نُفرَةُ الطَّبْع من الشَّيء)) (٣).

والكراهة عرفها الباحث بأنها: عدم الرِّضا بما أنزل الله والنفرة منه.

فعدم رضا المرء عمَّا أنزل اللهﷻ ولو كان في بعض الأحكام كالميراث, وتعدد الزوجات, والتحذير من موالاة الكفار, وغيرها يدخل صاحبه إلى هذا المنزلق الخطير بعد بيان ذلك له.

السخط في اللغة: السُّخْطُ والسَّخَطُ: ضد الرِّضا مثل العدم، والفعل منه سَخِط يسخط سخطاً أي: غضب, يقال: للرجل إذا أسخطه أغضبه, وتَسَخَّطَه: تَكَرَّهَه(٤).

وجاء في المفردات: السَّخَطُ والسُّخْطُ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال تعالى ﴿ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨]، وقوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ﴾ [سورة محمد: ٢٨], وهو من الله تعالى: إنزال العقوبة(٥).

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٧٠٧ , وعمدة الحفاظ, للسمين الحلبي:٣٩٢/٣.

(٢) الكليات, للكفوي: ٧٤ .

(٣) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ٣٢٠/٢.

(٤) ينظر: العين, للخليل الفراهيدي: ١٩٢/٤, ولسان العرب, لابن منظور: ٣١٢/٧, والقاموس المحيط, للفيروزآبادى: ٦٩٩.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٤٠٢_٤٠٣, وعمدة الحفاظ, للسمين الحلبي: ١٨٢/٢.

وفي الاصطلاح: ((السخط من الله تعال إرادة العقاب)) (١).

ولتعريف إتباع ما أسخط اللهﷻ أقول السخط هو: إتباع كل ما يغضب الله تعالى من الذنوب والمعاصي التي تحبط ثواب الأعمال.

واحترز بقوله _التي تحبط ثواب الأعمال_ لأن هناك ذنوباً لا تحبط ثواب الأعمال يغفرها الله بأعمال حسنةٍ بعدها كما قال رسول الله ﷺ :((ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوؤها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤتِ كبيرة وذلك الدهر كله)) (٢).

إحباط العمل في اللغة: من حبط, فالحاء والباء والطّاء أصل واحد يدلّ على بطلان أو ألم, ويقال: أحبط الله العمل، أي أبطله, وأمّا الألم فالحبط: من قولهم حبطت الدابة حبطا، بالتّحريك، إذا أصابت مرعى طيّبا فأفرطت في الأكل من الذرق السام حتّى تنتفخ وتهلك بمحق هذا النبت لها, ويقال: حبط دم القتيل يحبط حبطا إذا هدر, وحبطت البئر حبطا إذا ذهب ماؤها, والإحباط: أن يذهب ماء الركيّة فلا يعود كما كان(٣).

وفي المفردات: حبط العمل على أضرب:

أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء.

الثاني: أن تكون أعمالا أخروية، لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى.

الثالث: أن تكون أعمالا صالحة، ولكن بإزائها سيئات توفي عليها، وذلك هو المشار إليه بخفّة الميزان(٤).

وإحباط العمل في الاصطلاح: عرِّف بتعريفات عديدة منها ما يأتي:

١ـ الإحباط هو: ((إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات)) (٥).

٢ـ إحباط الأعمال هو: ((إبطال الاعتداد بالأعمال المقصود بها القُربة والمظنون بها أنها أعمال صالحة لمانع منع من الاعتداد بها في الدين)) (١).

---

(١) الفروق اللغوية, لابي هلال العسكري: ١٢٣.

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، رقم الحديث (٢٢٨).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة, لابن فارس: ١٢٩/٢, ولسان العرب, لابن منظور: ٢٦٩/٧_٢٧١, والقاموس المحيط, للفيروزآبادي:٦٦٢.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٢١٦.

(٥) الفروق, لابي هلال العسكري: ٢٣٦ .

والذي يرجحه الباحث هو التعريف الثاني لما فيه من تفصيل لمعنى إحباط العمل مع بيان أن العمل لوحده لا يكفي ما لم يكن موافقا لشرع الله ومسبوقا بنية خالصة.

سورة محمد ﷺ السورة في اللغة: من الفعل الثلاثي سَورَ السِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصل وَاحد يَدلُّ على عُلُو وَارتفاعٍ , والسور جمعُ سُورةٍ، وهي كُلُّ منزِلةٍ مِن البناءِ, وَالسورَة: المنزلَة الرفيعة, و سُمِّيت السُّورَة من القرآنِ سُورة؛ لأَنَّها درجةٌ إِلى غَيرها, و قد تأتي السورة بمعنى السور وهو الحائط حول مدينةٍ ما ومنه سُمّيت سُورَة القرآنِ تشْبيهاً بسُور المدينة؛ لكونها مُحيطَةً بآيات وأَحكامٍ إِحاطَة السُّور بالمدينَةِ[٢].

وأما السورة في الاصطلاح: قد وردت عدت تعريفات لها ومن أهمها ما يأتي:

١ـ ((اسم للمنزلة الرفيعة، ومنه سور البلد لارتفاعه، سميت سورة لأن القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن)) [٣].

٢ـ ((قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات)) [٤] .

٣ـ ((قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ، ناشئ عن أسباب النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة)) [٥] .

ثم تناولتُ البحث بالدراسة الموضوعية والمقصود بها الدراسة التفسيرية الموضوعية[٦] _أي التفسير الموضوعي_ والذي اعتنيت بها في عرضه.

---

(١) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ٢٩٩/٢١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة, لابن فارس: ١١٥/٣, والقاموس المحيط : ٤١١/١, تاج العروس, لابي الفيض مرتضى الزبيدي: ١٠٢/١٢.

(٣) تفسير الخازن لباب التأويل , لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن: ٣١/١.

(٤) الاتقان في علوم القرآن, للسيوطي: ١٨٦/١.

(٥) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ٨٤/١.

(٦) ينظر: منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني, أسماء عبدالله عطاالله, مجلة جامعة دمشق, (العدد الثاني, ٢٠١٢م): المجلد٦٨٩/٢٨.

المطلب الثاني

أسباب الكراهة والسخط المحبطة للعمل

لكراهة ما أنزل الله تعالى وإتباع ما يغضبه أسباب كثيرة, ومنها ما يأتي:

١ـ **إتباع هوى النفس:** هوى النفس في اللغة: الهاءُ وَالوَاوُ وَاليَاءُ:أصلٌ صحيحٌ يدلّ على خلوّ وسقوط, وهوى النّفس من المعنيين جميعا؛ لأنّه خالٍ من كلّ خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي, وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء, وحقيقته: محبة الإنسان الشّيءَ وغَلَبتُه على قلبه(١).

وجاء في المفردات: الْهَوَى: ميل النفس إلى الشهوة,ويقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وقيل: سمّي بذلك لأنّه يَهْوِي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوِيَةِ، والهاوية النار, وَالْهُوِيُّ: سقوط من علو إلى سفل، وقد عظّم الله ذمّ اتّباع الهوى، فقال﴿ ۞ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣], ونهى عن اتباع الأهواء فقال﴿• وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا ﴾ [سورة المائدة: ٧٧], فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أنّ لكلّ واحد هوى غير هوى الآخر،ثم هوى كلّ واحد لا يتناهى، فإن اتّباع أهوائهم نهاية الضّلال والحيرة(٢).

وفي الاصطلاح: عرّف إتباع الهوى بأنه: ((ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة على ما يدعو إليه الحق والرشد)) (٣).

في هذا المقام فإتباع الهوى يؤدي بصاحبه إلى العصيان, وينزلق إلى المهالك والنيران, فهو أهم سبب لكراهة منهج الله؛ لأنه منبع التمرد عليه, ومَا أَنْزَلَه اللَّهُ هو القرآن فكرهوا ما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وأهواؤهم(٤).

٢ـ **زوال ملكهم:** الزوال في اللغة: من زَوُلَ, فالزَّاءُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أصلٌ واحدٌ يدلّ على تنحّي الشّيء عن مكانه, والزّوال: الذّهاب, وزال القوم عن مكانهم إذا حاصوا عنه وتنحّوا, والزّوال: زوال الشّمس وزوال الملك ونحو ذلك ممّا يزول عن حاله(١).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة, لابن فارس: ١٥/٦, ولسان العرب, لابن منظور: ٣٧٢/١٥, والصحاح, لابي نصر الفارابي: ٢٥٣٧/٦.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٨٤٩, وعمدة الحفاظ, للسمين الحلبي:ج٢٦٧/٤.

(٣) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ١٧٧/٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل, للبيضاوي: ١٢٠/٥.

وجاء في المفردات: زَالَ الشيء يَزُول زَوَالًا: فارق طريقته جانحا عنه, والزَّوال يقال في شيء قد كان ثابتا قبل، فإن قيل قد قالوا: زوال الشمس، ومعلوم أن لا ثبات
للشمس بوجه، قيل: إنّ ذلك قالوه لاعتقادهم في الظّهيرة أنّ لها ثباتا في كبد السماء، ولهذا قالوا: قام قائم الظّهيرة, قال تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا ﴾ [سورة فاطر: ٤١], وقوله﴿♦ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٦], وكذلك في تصورنا أن الأرض والجبال ثابتين إلا أنهما متحركيْن(٢).

وفي الاصطلاح: عرّف المُلك بأنه:((عبارَة عَن القُدرَة الحسية العامَّة لما يملك شرعا ولما لا يملك))(٣).
وباعتبار السلطة والحكم هو:((التسلط على من يَتأَتَّى منه الطَّاعة، ويكون بالِاستحقاقِ وبغيْرِهِ, والتَّصَرُّف في الأَمر والنَّهي))(٤).
إذاً الذي يراد به هنا ما كان باعتبار السلطة والحكم, فهم من كانوا يكرهون الإيمان بما أنزل الله, ويُكرِهون من تحت سلطانهم على ذلك, ولتعريف زوال الملك أقول هو: تنحي سلطتهم عمَّن يملكون التصرف فيهم بحكم تلك السلطة.

وفي هذا المقام لقد كان الخوف من زوال الملك منزلقا لكراهة إتباع ما أنزل الله تعالى وسبباً في سخَطه عليهم, لأن الملك الحق لله وحده, وما عداه إلى زوال.
وأول من خاف زوال ملكهم هم اليهود, يقول صاحب الظلال(٥) _رحمه الله_
((واليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزل الله لأنهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم، وأن يكون خاتم الرسل منهم وكانوا يستفتحون على الذين كفروا ويوعدونهم ظهور النبي الذي يقودهم ويمكن لهم في الأرض، ويسترجع ملكهم وسلطانهم؛ فلما اختار الله آخر رسله من نسل

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة, لابن فارس:٣٨/٣, ولسان العرب, لابن منظور: ٣١٣/١١_٣١٤, والقاموس المحيط, للفيروزآبادي:١٠١١.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٣٨٧_٣٨٨.

(٣) الكليات, للكفوي: ٨٥٣.

(٤) المصدر نفسه:٨٥٣.

(٥) هو سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي, أشهر مؤلفاته (في ظلال القرآن , ومعالم في الطريق, والعدالة الاجتماعية في الاسلام) كان رحمه الله أديبا وداعيا حركيا,توفي عام(١٩٦٦م)؛ ينظر: الموسوعة العربية العالمية: ٣٧٠/١٣, ومناهج المفسرين, لصلاح الخالدي: ٥٩٧ .

إبراهيم عليه السلام، من غير يهود ، كرهوا رسالته حتى إذا هاجر إلى المدينة كرهوا هجرته التي هددت ما بقي لهم من مركز هناك)) [١].

٣ـ **تسويل الشيطان:** التسويل في اللغة: من سَوِلَ فالسِّينُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أصلٌ يدلّ على استرخاء في شيء يقال سَوِلَ يسول سَوَلا, يقال: سوّلت له الشّيء، إذا زيّنته له, ويقال: التّسويل تفعيلٌ من سُوِل الإنسان، وهو أُمنيّته أن يتمنّاها فتُزيّن لطالبها الباطل وغيره من غرور الدّنيا[٢].

وجاء في المفردات: التَّسْوِيلُ: تزيين النّفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن، قوله تعالى﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٥], وقوله﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [سورة يوسف: ١٨]، والسُّؤْلُ يقارب الأمنيّة، لكن الأمنيّة تقال فيما قدّره الإنسان، والسُّؤْلُ فيما طلب، فكأنّ السُّؤْلَ يكون بعد الأمنيّة[٣].

وفي الاصطلاح: عرّف التسويل بما يأتي:
١ـ ((تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح بصورة الحسن))[٤].
٢ـ ((تسْهِيلُ الأمر الّذي يستشعر منه صعوبةٌ أو ضرٌّ وتزيين ما ليس بحسن))[٥].

وفي هذا المقام فإن من أسباب كراهة ما أنزل الله ونيل سخطه هو إتباع تسويل الشيطان لهم[٦], لهم[٦], وهنا تجتمع هذه الأسباب السابق ذكرها فتتنافر النفس مباشرة مع دين الله والتزام أوامره، وهنا يأتي دور هذه اللفظة بالتعاون مع الشيطان، فالنفس الآن تدور بين حب الدنيا والرغبة في إتباع دين الله، وهي حين ترضي شهواتها وأهواؤها تشعر بالألم والتأنيب في ترك أوامر الله، فيأتي الشيطان

(١) في ظلال القرآن, لسيد قطب: ٣٢٩٨.
(٢) ينظر: العين, للخليل الفراهيدي:٢٩٨/٧, ومقاييس اللغة, لابن فارس: ١١٨/٣, ولسان العرب, لابن منظور: ٣٥٠/١١.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٤٣٧.
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف, لعبد الرؤوف المناوي:٩٦.
(٥) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ١١٦/٢٦.
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب, للفخر الرازي: ٥٨/٢٨.

ليسهل لها ارتكاب الإثم ويُذهِب عنها هذا التوتر فيشعرَها بالاسترخاء بهذا التسويل ويعطيها أمنيتها التي طلبت على رضى زائف واسترخاء كاذب, فتحفظ ملكها الزائل وهواها

المطلب الثالث

التفسير الموضوعي لآيات الكراهة والسخط

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٩].

وردت الآية الكريمة في سياق دعاء الله تعالى للمؤمنين﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ٧], ونصرة الله نصرة دينه ورسولهﷺ, ثم يثبّت الله أقدام الذين آمنوا في القتال, وأما الذين كفروا فتعساً لهم, فقد عثروا فيقال لهم ما يقال للعاثر الذي يراد أنه لا يقوم, مع انحطاطهم, وهوانهم, ومن بدائع القرآن ((وقُوع فتعْساً لهم في جانب الكفَّار في مقابلة قوله للمؤمنِينَ ويُثَبِت أَقدامكم)) (١)

ثم كان هذا بسبب كونهم كرهوا ما أنزل الله وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة(٢), وكل هذا فعلنا بهم من التعس وإضلال الأعمال، من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه على نبينا محمدﷺ(٣), ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة, وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله، أن أحبط الله أعمالهم, فانتفخت أعمالهم وورمت وانبعجت, ثم انتهت إلى الهلاك والضياع؛ إنها صورة وحركة، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام المنتفخة كبطون الأنعام، حين ترعى من ذلك النبت السام(٤).

وقوله تعالى﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٨]. الآية الكريمة تحدثت عن سبب حال ضرب الوجوه, والأدبار عند الوفاة لكل من يتبع ما يغضب الله تعالى, ويكره رضوانه, فجاءت بعد تصوير القرآن لهذه الحالة عند موت هؤلاء ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٧], وفيه لطيفة قرآنية وَهِي: ((أَنَّ اللَّهَ تعالى ذكر أمرين: ضرب الوجه، وضرب الأدبار، وذكر بعدهما أمرين آخرين: إتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه، فكأنه تعالى قابل الأمرين فقال: يضربون وجوههم حيث أقبلوا

(١) التحرير والتنوير, لابن عاشور: ٨٥/٢٦.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن, لسيد قطب: ٣٢٩٠.

(٣) ينظر: تفسير المراغي, لاحمد المراغي: ٥٢/٢٦.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن, لسيد قطب: ٣٢٩٠.

على سخط الله، فإنّ المتّسع للشّيء متوجّهٌ إليه، ويضربون أدبارهم؛ لأنّهم تولّوا عمّا فيه رضا الله، فإنّ الكاره للشّيء يتولّى عنه))[1].

وفي هذه الأجواء يصور لنا المولى في هاتين الآيتين هذا المشهد المفزع المهين, وهم يحتضرون, ولا حول لهم ولا قوة, وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض, وفي مستهل حياتهم الأخرى؛ هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار في لحظة الوفاة؛ لحظة الضيق والكرب والمخافة الأدبار التي ارتدوا عليها من بعد ما تبين لهم الهدى, فيا لها من مأساة[2]﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾؛ بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه من الكفر ككتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الأمر, وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات[3], ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أبطل ما عملوه حال إيمانهم من أعمال البر[4].

وقوله تعالى ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [سورة الأنفال: ١١] , مع كل ما تقدم, فلتسويل الشيطان دور كبير في كراهة ما أنزل الله وإتباع ما أسخطه؛ لذا لقد كانت العناية الربانية للمؤمنين في كل وقت وحين, وتتجلى في نصرتهم لدين الله, وإتباعهم لرسوله في ساحات القتال؛ فلهذا هنا يأتي ربط القلوب وتثّبيتِ الأقدام لهم مباشرة بعد ((إذهاب وساوس الشيطان, وتسكين قلوبهم واطمئنان نفوسهم عنهم))[5] من كل ما تستقذره النفس المؤمنة ظاهراً وباطناً.

المطلب الرابع:

الآثار الدنيوية و الأُخروية لهما.

لكراهة ما أنزل الله وإتباع ما أسخطه؛ آثارٌ جسام منها ما يأتي:

(1) مفاتيح الغيب, للفخر الرازي: ٥٧/٢٨.

(2) ينظر: في ظلال القرآن, لسيد قطب: ٣٢٩٨.

(3) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التاويل, للبيضاوي: ١٢٤/٥.

(4) ينظر: صفوة التفاسير, للصابوني: ١٩٧/٣.

(5) تفسير الوسيط, لوهبة الزحيلي: ٧٧٩/١.

١- إنَّ من المؤكد نتيجةَ الكراهة والسخط هو الذل والتَّعس وإضلال الاعمال[١], قال تعالى﴿ فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٨], فعلى هذا يجب الحذر من إتباع الاهواء المضللة التي تستخدم ضد المسلمين.

٢- نرى نماذج في حاضرنا من الذين يدعمون السلطان الجائر في اعتراضه على بعض أحكام الله, ويوافقون على فقرات في القانون تخالف الشرع والفطرة السليمة كأن أحكام الشرع لا علاقة لها بإصلاح البلاد, وتنظيم شؤون الناس على كافة الاصعدة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتعايشا سلميا[٢], فلينتبه هؤلاء من البقاء على هذا أن يسخط الله عليهم.

٣- نعيش في زماننا هذا وقد شاعت المباهاة في الحرية الغربية, وحسن تداول السلطة بينهم ولو حتى في الظاهر لنا؛ لا ريب أنَّ لهم ايجابيات وسلبيات؛ لكن الذي نرمُ إليه في هذا المقام هو ذكر بعض الناس المتأثرين بهذا, وهمُّهم جلب سلبيات تلك المجتمعات إلينا, وإغراق مجمعاتنا بها, وتقييد التطور والتقدم فيها, وهم معاندون لكثير مما أراده الله لنا ورسولهﷺ, أن نقول لهم إنَّ من خصائص منهج الله تعالى الواقعية[٣], وأننا لا نعادي كل ما يخدم البشرية؛ بل العكس تماماً, وعليكم أن تعلموا أن أمنياتكم هذه إلى زوال وخسران مهما طالت, و المولى_سبحانه وتعالى_ قد نبأنا من أمثالكم فقال﴿♦أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

٤- إنَّ مما يميز عقوبة الذين يتبعون ما يغضب الله ويكرهون رضوانه وماأنزل عليهم

؛ أن يحلَّ دمار اللهﷻ عليهم, ووقت وفاتهم تضرب الملائكة وجوههم المسودة

وأدبارهم, وهذا أول العذاب[٤], ولعذاب الآخرة أشق, ونسأل الله العافية والنجاة.

---

(١) ينظر: تفسير المراغي, لاحمد المراغي: ٥٢/٢٦.

(٢) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها, لعبد الرحمن حبنكة الميداني: ٢٩٣/١.

(٣) ينظر: منهج التربية الإسلامية, لمحمد بن قطب: ٣١/١.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن, لسيد قطب: ٣٢٩٨.

خاتمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه اجمعين, وبعد:

فبفضل الله تعالى توصلت الى عدد من النتائج, وأهمها ما يأتي:

١ـ من حق الله تعالى علينا أن نرضى بما أنزله ولا نتبع ما يسخطه.

٢ـ الحرص على اجتناب هوى النفس لأنه منبع التمرد على ما أنزله المولى سبحانه.

٣ـ يؤدي اتباع تسويل الشيطان الى تنافر النفس البشرية مع دين الله وعدم الالتزام بأوامره.

٤ـ الحذر مما يشيع في زماننا من ابراز للحريات الغير منضبطة وجعلها اساسا في تطور المجتمعات ونبذ القيم الاسلامية الصحيحة فقد تؤدي الى بطلان العمل في الدنيا والعذاب في الاخرة.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الاتقان في علوم القرآن, للسيوطي: ١٨٦/١.
٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها, لعبد الرحمن حبنكة الميداني
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل, للبيضاوي: ١٢٠/٥.
٤. تاج العروس, لابي الفيض مرتضى الزبيدي: ١٠٢/١٢.
٥. التحرير والتنوير, لابن عاشور: ٣٢٠/٢.
٦. تفسير الخازن لباب التأويل , لعلاء **الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن:** ٣١/١.

٧.تفسير المراغي, لاحمد المراغي
٨.تفسير الوسيط, لوهبة الزحيلي
٩.التوقيف على مهمات التعاريف, لعبد الرؤوف المناوي
١٠. رواه مسلم: كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، رقم الحديث (٢٢٨).
١١. الصحاح, لابي نصر الفارابي: ٢٥٣٧/٦.
١٢. صفوة التفاسير, للصابوني
١٣. عمدة الحفاظ, للسمين الحلبي:٣٩٢/٣.
١٤. العين, للخليل الفراهيدي: ١٩٢/٤,
١٥. الفروق اللغوية, لابي هلال العسكري: ١٢٣.
١٦. في ظلال القرآن, لسيد قطب
١٧. القاموس المحيط, للفيروزآبادى: ٦٩٩.
١٨. الكليات, للكفوي: ٧٤ .
١٩. لسان العرب, لابن منظور
٢٠. المصباح المنير, للفيومي
٢١. مفاتيح الغيب, للفخر الرازي
٢٢. المفردات في غريب القرآن, للراغب الاصفهاني: ٧٠٧ ,
٢٣. مقاييس اللغة, لابن فارس
٢٤. مناهج المفسرين, لصلاح الخالدي
٢٥. منهج التربية الإسلامية, لمحمد بن قطب
٢٦. منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني, أسماء عبدالله عطاالله, مجلة جامعة دمشق, (العدد الثاني, ٢٠١٢م): المجلد٦٨٩/٢٨.
٢٧. الموسوعة العربية العالمية: ٣٧٠/١٣,